الفصل الثانى

الديانة البوذية

قبل الاستطراد في التحدث عن الديانة البوذية، يجب أن نوضح أنه قبل ظهور الديانات الهندية – وأقدمها ديانة البراهمة– كانت هناك ديانات سماوية ودعوات ربانية أتى بها أنبياء من قِبل الله عز وجل، أمثال: شيث وأدريس عليهما السلام، ولما طال الأمد على القوم تعرضوا لتيارات مختلفة وعديدة حتى جاءت الديانة البرهمية، فساروا عليها وآمنوا بها حتى بدا الانحراف الكهنوتى عن مبادئ تلك الديانة، وكثرت المذاهب في الهند وانتشرت الآراء وتعددت؛ فانحرف أتباع البرهمية إلى الوثنية وعبادة التماثيل، وساروا خلف كل بدعة. وبذلك كثرت الشيع وكثرت أتباع كل شيعة، وفقد البراهمة روح ديانتهم ونسوها، وانجرف الهنود انجرافًا خطيرًا مع التيار حتى وصلوا إلى أخطر مراحل الوثنية، حتى ظهر (ساكيا موني)، أو (سيزارا ساجوتاما) المشهور باسم (بوذا) بدينه المبتدع.

والحقيقة، البوذية ليست في نفسها ديانة سماوية أو دين وضعي، ولكنها مذهب فلسفي مشتق من الديانة البرهمية مع إدخال تعديلات لبعض القواعد.

تاريخ بوذا:

ولد جوتاما مؤسس المذهب البوذي في منتصف السنة الستمائة قبل الميلاد، وكان أبوه أمير يسمى (كاييلا فاستو)، وسمى (سيزاراسا)، أو (ساكيا مونى جوتاما)، واسم ساكيا مونى يعطي معنى (المتبتل من عائلة ساكيا). وعاش عيشة ناعمة وتزوج في سن التاسعة عشر.

كانت آمال جوتاما متجهة من صغره إلى التكمل في الأخلاق والعادات، ولما بلغ التاسعة والشعرين من عمره وأخذ يتأمل في حالة بني قومه وما وصلوا إليه من الذلة والمسكنة نتيجة نظام الطبقات الذي أحدثه كهنة البراهمة بغية إبقاء الشعب على حال من الجهل والغفلة ليتوصلوا بهذه الوسائل للإمساك بزمام الشعب والاستعلاء عليه من كل ناحية، مما أدى إلى انحطاط الشعب الهندي، فعكف على عبادة الأشخاص، والتماثيل، والحيوانات.

فكر جوتاما مليًا، وظل يفكر حتى زهد في العظمة الدنيوية ومجد العالم الزائل، وكرهت نفسه ملذات الحياة. ومن هذا التفكير بدأت رغبته تبدو جلية في الإصلاح، فغادر بلاط أبيه وترك ناعم الفراش ورغد العيش بعد أن زهد في الحياة الدنيوية، وخرج تاركًا زوجته وبيته غير مفكر ولا ميال إلا لما عزم عليه، فقد خرج إلى الجبال والأحراش الكثيفة المليئة بالوحوش التي لم ترهبه، بل أنزوى يستهدي الفكر، ويهذب الروح، ويستطلع الغيب،

ويصهر جسمه الذي أخذ على النعومة في بوتقة الشقاء الجسماني والرياضة الروحية.

تجلي الوحي لبوذا:

ويروى أنه بينما كان (جوتاما) جالسًا في ليلة من الليالي تحت ظل شجرة تين، تجلى له النور وانكشف عنه الغطاء، وعرف كثيرًا من الأسرار، وبذلك أطلق عليه لقب (بوذا)؛ أي العالم المستنير. وعاد إلى الناس بعد أن قضى ست عشرة سنة يسرح بالفكر ويتأمل في الكون وفي الملكوت، عاد بمذهبه وبدأ ينشر دعوته ومبادئه على الشعب، وتبعه أتباع كثيرون آمنوا بمذهبه ومبادئه، وظل أتباعه وتلاميذه متمسكين بدعوته حتى مات في الثمانين من عمره وأُحرق جسده.

عقائد الديانة البوذية:

الديانة البوذية لا تشير إلى إله خالق سوى (النرفانا)؛ والنرفانا معناها الإطلاق الطبيعي، أو المتسامي، أو بوذا نفسه. ولم تتكلم عن إله صراحة بخلاف الديانة البرهمية التي تقول أن هناك إله، بل بوحدة ذلك الإله.

والذي لا يمكن إنكاره أن بوذا نفسه لم يدعِ يومًا أنه إله، أو ابن إله، أو ابن آلهة، ولكن مبالغة أتباعه هي التي جعلت من بوذا إلهًا، ومن مذهبه الفلسفي والإصلاحي دينًا، وهذه المبالغة قادتهم إلى الشرك والكفر، وذلك ظاهر في عبادتهم لبعض الحيوانات وتقديسهم إياها، والتغني بمجدها،

واستجلاب مددها، وتحريم ذبحها تحريمًا أساسًا، والسجود لها في كل لحظة. وقد نشرت الصحف العالمية أنباء المذابح التي كانت تحدث نتيجة ذبح هذه الحيوانات.

تعاليم الديانة البوذية:

وتتلخص التعاليم البوذية الظاهرة للكهنة، والخفية عن الأتباع إلا التلاميذ المشتركين في الأسرار فيما يأتي:

١- لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير، إذن لا فرق بين روحيهما، فكل منهما مستعد لإدراك الحقيقة والانتفاع بها.
٢- يدعو بوذا إلى سلوك العمر الأوسط بين التلذذ والزهد الخالص في الدنيا.
٣- للعمر الأوسط ثماني شعب هي: النظر الصحيح، واللفظ الصحيح، والإلهام الصحيح، والتفكير الصحيح، والسير الصحيح، والحياة الصحيحة، والجهد الصحيح، والسرور الصحيح.

ويضع بوذا للحقيقة أركانًا أربعة هي:

١- الرغبة غير المدركة تؤلم.
٢- الشهوة أصل الألم.
٣- لاستقبال الألم يجب نبذ الرغبة.

٤- لأجل منع الألم يقتضي اتباع الممر الأوسط.

ولا يوجد في تعاليم بوذا شيء عن الله، أو عن تقديم ذبائح، أو قرابين، أو شعائر تعبدية؛ فقد اهتم بنشر المحبة والإشارة إلى الألم. ومن أهم معتقداته: أنه لا يسلم بفكرة الخلود في الوقت الذي يقول بمذهب التقمص، ويؤمن أتباع بوذا بما يسمونه (كرما): أن الرغبة تنتقل في الحياة الأخرى من شخص لآخر. كما كان بوذا يلقي بتعاليمه شفاهًا، مع أن الكتابة كانت معروفة، وقد جمع تلاميذه أقواله من أفواه المتحدثين، والرواة، والمؤرخين، وكتبت كلها بلغة (بالي)، لأن اللغة السنسكريتية كانت قد انقرضت، واتخذ التلاميذ الأتباع هذه الروايات المنقولة كتبًا دينية، لها القداسة والحرمة المعطاة لكتب الفيدا عند البراهمة، حتى أن الفيدا بأسفارها لم تعد لها عند أتباع بوذا أي مرتبة من السمو الروحي.

قواعد الديانة البوذية:

وتقوم الديانة البوذية على دعائم تعتبر القواعد الأساسية للديانة، والأركان التي تعتبر خطوطًا عريضة يتخذ منها التفسيرات والشروح، بحيث لا تخرج تلك الشروح والتفاسير عن هذه الدعائم، والدعائم الأساسية هي:

١- الألم من لوازم الوجود.
٢- الرجوع إلى هذه الدنيا مرة أخرى سببه اتباع الشهوات والنقائص في الحياة السابقة (عقيدة التناسخ).

٣- الخلاص من الشرور والنقائص هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من العودة للأرض في تقمص جديد بعد الموت.
٤- التخلص من العقبات التي توقف حركة الخلاص من الشهوات.
٥- التسامحو والطيبة، والشفقة، والحب، ولين الجانب، والإقلاع عن الرغبات الباهظة، والإضراب عن الضروريات الهامة، وأشدها درجات الزهد في الحياة نفسها متى كانت مبذولة في سبيل تخليص الغير.
٦- الإغراق في الانكماش والترهب.

وبهذه القواعد والأسس يمكن للإنسان المطبق لها تطبيقًا صحيحًا أن يصل إلى (النرفانا)، والنرفانا في عرف البوذيين عبارة عن بلوغ النفس الكمال الأسمى، وانطلاقها من أسر المادة، واجتماعها الأدبي بالنرفانا، وهي الكمال المطلق الغير محدود، أو الذي لا يمكن وصفه إلا لمن انكشفت له الأسرارو وكشف عن بصيرته الحجاب فتراءى له بوذا نفسه، ومعنى ذلك أن يفنى المؤمن في الروحانية البوذية المطلقة الكاملة.

ومع ما نرى فيه من بعض المبالغة، إلا أننا نقول أن الديانة البوذية تدعو إلى المحبة، وما نراه من انحرافها الفلسفي الذي لا يتفق مع العقل أحيانًا فنقول: أنه خير من النظم والقوانين التي يسير عليها أتباع بوذا اليوم، وما ابتدعوه من الشرك والوثنية، والخضوع للنواميس الكهنوتية، وألعاب السحر والشعوذة التي جعلها الأتباع من أهم أسرار الديانة البوذية.